الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ، وقد دار هذا البحث حول جمالية التصوير والتشخيص في القرآن، إذ تم اختيار بعض الآيات وتناولها بالتحليل البياني، وقد جاء تصميم هذا البحث مشكلا من مقدمة يليها مفهوم التصوير والتشخيص، تم تحليل خمس آيات من القرآن وإبراز ما فيها من جمال وبيان، بعد التحليل تأتي الخاتمة فلائحة المصادر والمراجع

أولا: مقدمة: حول التصوير والتشخيص ومفهوم كل منهما.

ترد الصورة في كلام العرب على معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، والمصور من أسماء الله الحسنى، الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها، على اختلافها وكثرتها [1]، ويعتبرها قدامة بن جعفر الوسيلة أو السبيل لتشكيل المادة وصوغها، شأنها في ذلك شأن غيرها من الصناعات [2].

وهي مصطلح عام وشائع اهتمت به مجموعة من العلوم ، واستخدمه النقد الأدبي، قديما وحديثا، يقول الجرجاني: واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك منه، كذلك الأمر في المصنوعات ، فكان بين خاتم من خاتم ، سوارا من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: المعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك. وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج 4، ص، 473

[2] الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، ص 22

العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير 3، الأمر الذي يعني أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء، الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب، الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة . كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه 4.

التشخيص لغة واصطلاحا:

أما التشخيص لغة فهو يدل على الارتفاع والظهور 5، وفي الاصطلاح فهو إسناد صفة من يعقل، أي الإنسان، إلى ما لا يعقل من المحسوسات والمعنويات، بحيث تبدو وكأن لها حواس الإنسان ومشاعره، ومخاطبة ما لا يعقل بخطاب من يعقل وتقديمه في صورة معينة 6. ولعل الفراء قد أشار إلى هذا النوع من التصوير في تعليقه على قوله تعالى: (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة**) (البقرة: 31)، فقال: عبر عن الأسماء بلفظ العقلاء [7]. وبما أن للنص الأدبي تركيبته الخاصة فإنه يمنح التصوير مجالا للتكوين والنمو، لذا كانت بلاغة التصوير جمالية معجزة في القرآن الكريم، خاصة في القصة حيث يشكل مكونا رئيسيا فيها، تتحرك من خلاله الصورة وتقدم فضاءات جمالية ودلالية للتأمل والتدبر. فهو يمثل الأداة المفضلة والشائعة في القصة القرآنية، إذ يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن

---

[3] دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية ود فايز الداية، ط 2، دمشق، مكتبة سعد الدين، 198، ص، 445

[4] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 251

[5] لسان العرب، ابن منظور المصري، ج7،ص 45

[6] المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص 67 ، والتصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 63-64

[7] معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط 1 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 32

المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو المتحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية مجسمة مرئية .. أما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل [8] .

ولما كانت قضايا وموضوعات القرآن الكريم بمثابة تشخيص أنموذجي للقضايا والصور والتشبيهات التي يقدمها، وعرض حي لموضوعاته، فإنها لا تفصل ولا تفيض في الأحداث أو الشخصيات إلا بقدر ما تحدث في النفس من أثر، وما تهز به أعماقها لتطلعها على حقائق الحياة والوجود ، وما من شأنه أن يتناسب مع أهداف القرآن الكريم وغاياته .

ثانيا: تحليل الآيات القرآنية:

الآية الأولى:

قوله تعالى: (**واتل عليه نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الأعراف: 175-176)

التحليل :

في هذه الآيات[9] الكريمة نلاحظ بلاغة التمثيل حيث شبه الإنسان الضال الذي

[8] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، 23

آتاه الله العلم والنور ولكنه لا يعمل به بالكلب، كما يشبه شقاءه واضطراب أمره وبحثه عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه في دعة، وهو تشبيه المعقول بالمحسوس، فشقاؤه وإعراضه عن الدين الحق الذي آتاه الله إياه مشبه بلهث الكلب في حالة ضربه وطرده. وقد ساق القرآن أيضا وجه التشابه بين المعرضين الكفرة في الآيات السالفة وبين الحمر المستنفرة في قوله تعالى: (...**كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**)،(المدثر، الآية، 51)، إذ تتلاقى الصورة التي في الآية السابقة مع هذه الآية في عدة أمور تبرز عظمة التمثيل القرآني، إذ في تمثيلهم بالحمر الفارة أصدق تصوير للحالة النفسية التي يكون عليها الكفار حالة صدهم وإعراضهم عن دين الله وما يكونون عليه من اضطراب ورعب وخوف شديد وكذا ما يكون من انقسام نفسي داخلي وذلك كالحمر التي التي رأت نفسها على شفا الهلاك فنفرت تطير في كل اتجاه ذاعرة تتدافع وتتقاذف فيما بينها لا تدري أين تفر، والحمر شديدة النفار بمجرد ريبها وشكها في خطر قادم، ولذلك شبه العرب الإبل في شدة سيرها بالحمر، وفي تمثيل الكفار بالحمر كناية عن سفاهتهم وبلادة عقولهم، ولو كان لهم عقل لاستعملوه فيما ينفعهم في دنياهم وأخراهم.

الآية الثانية:

يقول تعالى في سورة يونس مصورا النفس البشرية، (**وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم**

فننبئكم بما كنتم تعملون) يونس :21-23. **التحليل الجمالي:**

هـذه الصـورة يفتتحهـا الله تبـارك وتعـالى ببلاغة لطيفة، فقد أسند فيها الرحمة إليه سبحانه، كما أسند فيها المساس إلى الضراء، وفي هذا إشارة إلى أن ما يقع عليهم من الضر إنما هو نتيجة لتصرفاتهم وأعمالهم، ثم يأتي جواب الشرط، (**إذا لهم مكر في آياتنا)**، ليؤكد ويقرر حالتهم بعد شمول الرحمة لهم.

وقـد نزلـت هـذه الآيـة في كفـار قـريش، حيـث سلط الله عليهم الجذب والقحط حتى خافوا الهلاك، فجاؤوا إلى سيدنا محمد (ص)، ليدعو لهم وقد وعدوه بالإيمان، فلما رحمهم الله رجعوا إلى كفرهم وعنادهم ومكرهم بآيات الله [10].

ثم يأتي الله عـز وجـل بصـورة حركيـة يؤكـد فيهـا القـدرة الإلهية المهيمنة على الحركة والسكون في البر والبحر، **(هـو الـذي يسيركم في البر والبحر)**، لتتوالى الصور القصصية بعد ذلك، تحكي عن فرح أهل السفينة والريح الطيبة تجري بهم في أمان وطمأنينة، لكي يفاجأ المتلقي باضطراب السفينة، واستبدال الذعر بالأمن، والغم بالفرح، بعد أن هبت الرياح العاصفة، وضربتها الأمواج من كل جانب .ولما تيقن المشركون أنه الهلاك والغرق، تأتي صورة أخرى تعبر عن فطرتهم التي تلجئهم إلى الله في الشدائد، فجملة **(دعوا الله مخلصين)** جواب (**إذا**)، ومعنى مخلصين له الدين، ممحضين له العبادة في دعائهم، أي دعوه ولم يدعو معه أصنامهم. وليس المراد أنهم أقلعوا عن الإشراك في جميع أحوالهم، بل تلك حالتهم في الدعاء عند الشدائد . وهذا إقامة حجة عليهم ببعض أحوالهم [11] ثم تأتي مفاجأة أخرى بصورة متحولة حين ينجيهم الله فيشركون به، **(فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق)** وأتى الله تعالى بحرف إذا الفجائية في جواب لما

---

[10] في ظلال القرآن، سيد قطب، 17/2 ،73

[11] التحرير والتنوير ،6 الطاهر ابن عاشور، /460

للدلالة على تعجيلهم بالبغي في الأرض عقب النجاة[12]. وتنتهي الصورة الكلية بتذييل يكنى بالإنباء عن جزاء البغي والظلم والشرك، وإفادة الاختصاص، تنزيلا للمخاطبين منزلة من يظن أنه يرجع إلى غير الله [13].

إن هذه الصورة المتتالية المفعمة بالحركة والتوتر وتغير الأحوال والهيئات تشخيص مبهر، وفر له تعالى من البلاغة ما يجعل المتلقي يعيش مراحلها المتنوعة. ومن بديع ذلك أن الآية (لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمير الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء، وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة، لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء، إلى ما يخص المشركين، فقال: **(وجرين بهم)** على طريقة الالتفات، أي جرين بكم، وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال:(**فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق)** فإن هذا ليس من شيم المؤمنين، فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة؛ لأن الذين يبغون لا يشمل المسلمين[14].

وهذه التلوينات البلاغية أضفت على الصور القصصية مزيدا من الحيوية والجمال ، حيث الإقناع العقلي والإيحاء النفسي، بالإضافة إلى إبراز مواقف فئة من البشر المتغيرة حسب حالاتهم ومصالحهم .

الآية الثالثة:

ومن الصور التصويرية العجيبة التي تقدم مشهدا جماليا رائعا، قوله تعالى في سورة الكهف: (**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات**

---

[12] المرجع السابق،460
[13] المرجع السابق ،461
[14] المرجع السابق، 458

اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)، (الكهف، الآية:17-18).

التحليل:

فالآيات تقدم مشهدا لطيفا، حيث تصور الفتية وهم في فجوة الكهف تحيط بهم كل أسباب الحياة، الشمس عند الشروق والغروب تميل عليهم، كأن لها إرادة في عملها، ويتقلبون يمينا وشمالا، كي لا يضرهم البقاء على جنب واحد، وكلبهم نائم أمامهم كأنه يحرسهم، وفي قوله تعالى (**وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**)، طباق وتشبيه، فالطباق بين (**أيقاظا**) و(**رقود**)، كما تتضمن المقابلة أيضا، وأما التشبيه فقد جاءت فيه الأداة فعلا من أفعال الشك أو اليقين، فقد شبه أصحاب الكهف حالة نومهم بالأيقاظ في بعض صفاتهم، لأنه قيل كانت عيونهم مفتوحة في حالة نومهم والإتيان بالمضارع في (**ونقلبهم**) للدلالة على التجدد، لو اطلع عليهم أحدا لولى فرارا من شدة الرعب.

والصورة القصصية مفعمة بظلال نفسية، تشخص حالة أهل الكهف بدقة، وتتضافر عناصر عدة للتأثير بها على المتلقي، كصيغ المضارع والمبالغة والاستعارة وغيرها من الأساليب البلاغية.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: (**وقيل يأرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين**) سورة هود، الآية: 44)

التحليل:

نرى صورة أخرى من الصور بليغة في التشخيص والتصوير في هذه الآية الكريمة نلحظ استعمال أسلوب النداء ليس للنداء على الإنسان كما هو معلوم ولكن للنداء على الأرض والسماء من قبل الله عز وجل وأمره لهما بما يؤمر به الإنسان المميز العاقل، وقد بني الفعل (**قيل**) في الآية للمفعول اختصارا لظهور فاعل القول وذلك لتظهر السرعة على الصورة، ومثل هذا الأمر لا يصدر إلا من الله والقول هنا أمر التكوين، وهذا الخطاب للسماء والأرض بصيغة النداء والأمر (استعارة) لتعلق أمر التكوين بكيفيات الأفعال في انفعالهما وذاتيتهما بذلك كما يخاطب العاقل بأحد الأعمال التي يتقنها فيمتثل خشية ورهبة، لذلك كانت الاستعارة في حرف النداء تبعية لما لم تقترن بما يلائم شيئا من المستعار منه والمستعار له. وقد جاءت الصورة حقيقة وليس مجازا للدلالة على عظمة الله المنادي وسرعة الامتثال باستجابة المنادى من خلقه. فالسماء والأرض امتثلتا لأمر الله لكي ترسو سفينة نبي الله عليه السلام بسلام، وهذه الآية كأنها تجسيد لآية أخرى وهي قوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون). (يس: 72). وبهذا، فالآية نموذج للتصوير البليغ المتضمن للنداء والأمر والنهي، والنعت والإسعاد والإهلاك والإشقاء والإبقاء، وقد كشف عن اقتصاد وإيجاز على ثلاث مستويات: صوتي ولغوي ونحوي، وفي المقابل نجد اتساعا وشساعة في الدلالة والجمال مما يحقق المتعة والفائدة.

الآية الخامسة:

ومن الصور الجمالية كذلك ما نجده في قوله تعالى: (**ألم تر إلى الملإ من بني إسراءيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيء لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين،وقال لهم نبيئهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بصطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم**).(**البقرة،**

الآية،247) **التحليل:**

افتتح الله عز وجل

هذه الآية بمخاطبة المتلقي ليقص عليه قصة وجهاء بني إسراءيل ووجهاءهم يطلبون من نبي لهم بعد موسى عليه السلام تعيين ملك يقاتلون تحت لوائه ولما حقق لهم ذلك تقاعسوا وتولوا مدبرين،(**ألم تر... والله عليم بالظالمين)** فهذا المشهد يقدم مجموعة من الصور التعبيرية التي تكشف حقيقة ادعاء القوم استعدادهم للقتال في سبيل الله، لكن حينما يوضعون أمام الأمر الواقع يظهر تقاعسهم ونفاقهم، وتأتي لفظة **(تولوا)** وتذييل **(والله عليم بالظالمين)** لتعميق صورة الإعراض والإدبار من فضاء المعركة، وما يتبعها من ظلم للنفس وللأمة، ولتثير في أعماق المتلقي حالات من النفور والاشمئزاز، وتتوالى مشاهد الكبر والظلم والإعراض في قوله تعالى: (**وقال لهم نبيئهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا... إن في ذلك ءلاية لكم إن كنتم مومنين)** 247_248). فمن خلال هذه الآيات التي سلفت يخبرهم نبيهم من خلال التحاور معهم أنه تقرر تعيين طالوت ملكا عليهم، لكنهم تابعوا إعراضهم لما جبلت عليه نفوسهم من التولي والإعراض عن الحق واعتبروه غير مستحق للملك نتيجة تدني مرتبتهم الاجتماعية وعدم كونه غنيا ورأوا أنهم لغناهم أحق بالملك منه وهذه صورة استعلائية على الناس واحتقارية لمن دونهم، لكن رد الله على اعتراضهم المرتبط بالدنيا الفانية كان وفق ميزان رباني دقيق معتمد على القوة والعلم، ولا يحابي أحدا، ومن أبلغ الصور المؤثرة في النفس صورة القرية الفارغة المثيرة للتعجب في النفس البشرية ثم الصورة العجائبية للمتسائل مدة مائة عام ثم مشاهدته لقضية البعث وذلك في قوله تعالى: (**أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه... قال أعلم أن الله على كل شيء قدير)**. فالله تعالى يعرض صورا حسية مفعمة بالحركة ووفق تدرج متين، ثم إن تكرير لفظة **(انظر**) يفيد استعمال النظر العقلي والبصيرة وليس النظر البصري قصد حمل المتلقي على الإقناع حيث كان البعث دليلا واضحا على القيمة العقدية التي بنيت هذه الآيات لإقرارها في النفوس .

هذا البحث قد حاول أن يتطرق إلى التصوير والتشخيص في آيات من القرآن مبتغيا تحليلها تحليلا جماليا وقد ظهر أن الجمال في هذه النصوص يكمن في الأساليب البلاغية من تشبيه وكناية والتفات وغيرها، وقد حاول البحث الوقوف على ذلك وتحليله، فنسأل الله الإصابة في هذه المحاولة وهو ولي التوفيق والسداد.

1- لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

2-دلائـــل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، ط 2، دمشق، مكتبة سعد الدين 1987.

3- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين،ط.2 ، 1984.

4-التصـوير الفـني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق.

5-معـاني القـرآن، الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط 1، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

6- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيرت، لبنان، المجلدات 15.

7-الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح.

8- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر

9-في ظلال القرآن، سيد قطب، ط. دار الشروق.